الإمام ابو الأعلى المودودي

ختم النبوة

في ضوء القرآن والسنة

مكتبة الرشد

خلق النبوة

في ضوء القرآن والسنة

١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م

مكتبة الرشد
للنشر والتوزيع
طريق الحجاز - ص.ب: ١٧٥٢٢ - هاتف: ٤٥٩٣٤٥١
الرياض - المملكة العربية السعودية

ختم النبوة

في ضوء القرآن والسنة

تأليف : أبو الأعلى المودودي

ترجمة : خليل أحمد الحامدي

مكتبة الرشد

الرياض

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

إن هذا الكتيب يتضمن موضوع ختم النبوة وكون النبي ﷺ آخر الأنبياء . وقد تناول المؤلف حفظه الله هذا الموضوع ضمن تفسير آية (ما كان محمد ابا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين . فى سورة الاحزاب) وأفردنا هذا التفسير وطبعناه فى كتيب مستقل . لأن التفسير لم يتناول موضوع ختم النبوة فحسب بل تناول فيما تناول جميع الجوانب المتعلقة لهذا الموضوع فى ضوء القرآن والحديث والإجماع ، مفنداً لمزاعم المتبنى القاديانى (زعيم الأحمدية) . ثم بين مسألة ظهور المهدى ونزول المسيح عليه السلام وظهور فتنة الدجال والحرب التى سوف تنشب بين المسلمين تحت قيادة المهدى والمسيح وبين الدجال قائد الملة اليهودية ، وكيف تنتهى هذه الحرب بانتصار المسلمين وبانقراض اليهود عن بكرة ابيهم وقتل الدجال فى اللد (أحدى مدن فلسطين المحتلة على مسافة بضعة اميال من تل ابيب) على يد ابن مريم .

والدراسة تعطى فكرة واضحة جلية من المواضيع التى اشرنا إليها فى ضوء ما ورد من الأحاديث الباب وفيما يشير إليه الواقع .

٢٢/١٠/١٣٩٩هـ

١٥/٩/١٩٧٩م — خليل أحمد الحامدى

٥

عقيدة ختم النبوة كما بينها القرآن

قال الله تعالى: «ما كان محمد ابا احد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين وكان الله بكل شيء عليما» (الاحزاب: ٤٠).

وردت الآية المذكورة في سورة الاحزاب، حيث إن الله سبحانه وتعالى قد رد على اعتراضات الكفار والمنافقين الذين كانوا يثيرون أنواعاً من المطاعن والإفتراءات على زواج النبي صلى الله عليه وسلم بزينب رضي الله عنها.

ولقد كان اعتراضهم الاول أنه صلى الله عليه وسلم قد تزوج بزوجة ابنه، مع أن المرأة إذا تزوجها الإبن تحرم على الأب حتى في شريعته عليه الصلاة والسلام. فقال جل جلاله ردا على هذا الإعتراض «ما كان محمد أبا أحد من رجالكم» أي متى كان الرجل الذي تزوج محمد صلى الله عليه وسلم بمطلقته ابنه حتى يحرم عليه الزواج بها؟

وكان اعتراضهم الثاني أن متبناه زيدا إذا لم يكن ابنا له

حقيقياً ، فزواجه بمطلقته كان مباحا له على أكثر التقدير .وكان لازما محتوما . فلماذا أقدم عليه بدون حاجة شديدة حقيقية ؟ يقول عز وجل ردا على اعتراضهم هذا «ولكن رسول الله» أي كان من اللازم المحتوم عليه أن يستاصل شافة كل عصبية توجد بينكم ، بشأن ذلك الأمر المباح الذي قد جعلته تقاليدكم الجاهلية المتوارثة حراما بدون ما مبرر معقول ، حتى لا يبقى مجال للشك والإرتياب في إباحته ومشروعيته ، ثم إنه سبحانه وتعالى أكد ذلك بقوله « وخاتم النبيين » أي هو آخر نبي بعثناه في العالم ولن يأتي بعده من جانبنا نبي فضلا عن أن يأتي رسول لإصلاح القانون والتقاليد السائدة في المجتمع . لأجل كل هذا فقد كان من الواجب المحتوم عليه صلى الله عليه وسلم أن يقوم بنفسه تحطيم هذا التقليد الجاهلي . ثم قال سبحانه بعد ذلك بمزيد من التأكيد « وكان الله بكل شيء عليما » أي أن الله يعلم : لماذا كان من اللازم تحطيم ذلك التقليد الجاهلي بيد محمد صلى الله عليه وسلم في ذلك الزمان ويعلم : أي فساد تمكن أن يبقى في المجتمع لو أنه صلى الله عليه وسلم لم يقم بتحطيمه وقطع شأفته ويعلم : أنه لن يبعث بعد محمد صلى الله عليه وسلم رسولا ولا نبيا . فهو إذن لم يحطم هذا التقليد الجاهلي بواسطة آخر انبيائه . فلن يظهر بعد ذلك شخصية أخرى يتحطم هذا التقليد الجاهلي في الدنيا كلها بجهودها . وإذا افترض أن المصلحين بعده سيتولون تحطيمه . فإن فعل أي واحد منهم لن يصبح قاعدة عامة بحيث تأخذ بها الاجيال القادمة وتحذو حذوها في كل زمان . كما أنه لن تبلغ أية شخصية من الشخصيات من القداسة والإحترام

بحيث إن مجرد قيامه بأحد الأفعال لتحطيم عادة معينة يمكن أن يستأصل من قلوب الناس كل تصورات الكراهة حوله .

إن طائفة قد أثارت في هذا الزمان فتنة نبوة جديدة وهذه الطائفة تفسر قوله تعالى « خاتم النبيين » في هذه الآية بـ « طابع النبيين » أي إن جميع الأنبياء الذين يأتون بعد محمد صلى الله عليه وسلم إنما يكونون أنبياء لكونهم مطبوعين بطابعه أو — بكلمات أخرى — لا يعد أحد بعده صلى الله عليه وسلم نبيا من الله ما لم يكن مطبوعا بطابعه صلى الله عليه وسلم .

ولكننا إذا تأملنا قليلا في هذه الآية مراعين السياق الذي وردت فيه ، تبين بدون أدنى ريب أن لا مجال البتة لتفسير هذه الكلمة — خاتم النبيين — بهذا المعنى . بل لو كان هذا هو معنى الكلمة لصارت في غير محلها وكانت مخالفة لفحوى الكلام أيضا فأي مناسبة عسى أن تكون في هذه الآية لبيان محمد صلى الله عليه وسلم هو طابع الأنبياء وأن جميع الأنبياء الذين يأتون بعده لا يكونون أنبياء إلا لكونهم مطبوعين بطابعه عليه الصلاة والسلام . مع أن الآية جاءت هنا في سياق الرد على اعتراضات الكفار والمنافقين وشبهاتهم التي اثاروها حول زواج النبي صلى الله عليه وسلم بزينب رضي الله عنها ؟ فهذا البيان غير متلائم مع سياق العبارة بل إنه على عكس ما يريده الله سبحانه وتعالى حيث يضعف الحجة التي وردت آنفاً في رد شبهات الكفار والمنافقين ويؤيد اعتراضاتهم وشبهاتهم . ويعطي لهم الفرصة ليقولوا للنبي صلى الله عليه وسلم إنك لو لم تقم بهذا العمل

– (أي تحطيم عادة التبني والزواج بمطلقة المتبني) – بنفسك الآن لما كان هناك خطر عظيم ولقام بهذا العمل نبي من الأنبياء الذين سيأتون بعدك مطبوعين بطابعك

والتأويل الثاني لهذه الطائفة أنها تفسر « خاتم النبيين » بأفضل النبيين » أي أن باب النبوة لا يزال مفتوحا . غير أن فضائل نبوة قد تمت على محمد صلى الله عليه وسلم – ولكن هذا المفهوم لخاتم النبيين فيه أيضاً نفس تلك المفسدة التي قد ذكرناها آنفاً في التأويل الاول . وهو أيضاً لا يتلاءم مع سياق الآية بل يخالفه مخالفة صريحة . اذ كان للمنافقين أن يقولوا للنبي صلى الله عليه وسلم إذن : لماذا يا حضرة النبي قد رأيت من الضروري أن تقوم انت بنفسك بهذا العمل . فإنك لو لم تقم به الآن لقام به أحد من الانبياء بعدك على كونه أقل درجة منك ؟

المعنى اللغوي لكلمة « خاتم النبيين » :

فالذي يقتضيه إذن سياق العبارة أن لا نفسر « خاتم النبيين » في هذه الآية إلا بمعنى من قد ختم سلسلة النبوة ، ونعتقد اعتقاداً جازماً أنه لن يأتي بعد محمد صلى الله عليه وسلم أي نبي من الله الى يوم القيامة . ولكن ليس هذا ما يقتضيه سياق الآية فحسب بل هو كذلك مما تقتضيه اللغة . فمعنى « الختم » بموجب لغة العرب وأساليب كلامهم : الطبع والإتمام والسد والوصول الى الإنتهاء يقال ختم الشيء وعليه : إذا بلغ آخره . وختم العمل

اذا فرغ منه ، وختم الإناء : إذا سده بالطين ونحوه . وختم الكتاب : اذا قرأه كله وفرغ منه ، وختم على قلبه : اذا جعله لا يفهم شيئاً ولا يخرج منه شيء . وختام كل مشروب :آخره وختام الوادي : أقصاه ، وخاتمة كل شيء : عاقبته وآخرته . وخاتم القوم وخاتمهم : آخرهم . (راجع : لسان العرب والقاموس المحيط وأقرب الموارد .) (١)

---

(١) نحن وإن قد ذكرنا الاستشهاد ههنا بثلاثة معاجم اللغة ، ولكنه ليس بمنحصر في هذه المعاجم الثلاثة فحسب ، بل راجع أي معجم شئت من معاجم اللغة العربية . لا تجد فيه لكلمة « الختم » إلا نفس هذا المعنى . ولكن من عادة منكري ختم النبوة وديدنتهم التي درجوا عليها انهم يعملون لنقب دين الله وتأويل أحكامه ومبادئه على هواهم بدل أن يستندوا إلى معاجم اللغة يحاولون الاستناد إلى أن أحداً من الناس إذا لقب بخاتم الشعراء أو بخاتم الفقهاء أو بخاتم المفسرين فلا يكون معنى ذلك أنه لن يأتي بعده شاعر أو فقيه أو مفسر وإنما يكون معنى ذلك أن قد تمت عليه فضائل فن الشعر أو الفقه أو التفسير ، مع أن ليس معنى استعمال مثل هذه الألقاب على سبيل المبالغة أن يصير معنى « الخاتم » الحقيقي : الكامل أو الأفضل حتى باعتبار اللغة ويصبح من الخطأ بعده استعمال هذه الكلمة بمعنى « الآخر » بتاتاً . ولعمري ان تولا سخيفاً مثل هذا لا يمكن أن يأتي به إلا من كان على أوفر نصيب من الجهل بقواعد اللغة وأساليب الكلام الإنساني . ليس من قواعد أية لغة في العالم أن كلمة إذا كان الناس يستعملونها مجازاً بمعنى خاص في بعض محاوراتهم . أصبح ذلك المعنى المجازي هو معناها الحقيقي وامتنع استعمالها بمعناها اللغوي الحقيقي . وماذا ترى ؟ إنك إذا قلت لرجل من العرب « جاء خاتم القوم » فهل يفهم أنك تعني « قد جاء أفضل القوم وأكملهم أم إنما يفهم أنك تعني « قد جاء القوم كلهم حتى آخر رجل منهم » ؟ —

لأجل هذا فإن علماء اللغة والتفسير مجمعون على أن معنى «خاتم النبيين»: آخرهم الذي لا نبي بعده. وإذا كان معنى الخاتم: الطابع فليس المراد به بالطابع الذي يطبع به على الرسائل في دائرة البريد عند توزيعها وإنما المراد به الطابع الذي يطبع به على الغلاف لئلا يدخل فيه شيء ولا يخرج منه.

= ومما يجب أن لا يغيب عن البال مع هذا أن أفراداً من الناس إن كانوا قد لقبوا بخاتم الشعراء أو خاتم المحدثين، فإنما كان الناس هم الذين لقبوهم بهذه الكلمات ومن المحال إذا لقب الناس أحداً بالخاتم أن لا يأتي بعده من يحمل صفة مثل صفته، فما مثل هذه الألقاب في الكلام الانساني إلا بمنزلة المبالغة والاعتراف بالكمال. ولكن الله سبحانه وتعالى قال في عبد من عباده أن قد تمت عليه الصفة الفلانية فما ثمة ما يوجب أن نغير بقول الله أيضاً في معناه المجازي. ولو أن الله قال في أحد من عباده أنه خاتم الشعراء، لما جاء بعده شاعر أبداً. وهكذا فإنه لما قد قال في نبيه ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم أنه خاتم النبيين. فمن المحال القطعي أن يأتي بعده نبي إلى يوم القيامة، وذلك أن الله عالم الغيب وأما الانسان فليس كذلك. فكيف يجوز أن يكون قول الله في أحد من عباده أنه خاتم النبيين وقول الناس في أحد منهم أنه خاتم الشعراء أو خاتم الفقهاء بمنزلة سواء؟

عقيدة ختم النبوة كما وردت في الأحاديث

هذا هو معنى « خاتم النبيين » لغة وبموجب سياق العبارة وسباقها في آية القرآن . وهو عين المعنى الذي بينه وأكده النبي صلى الله عليه وسلم لهذه الكلمة في غير واحد من أقواله المروية عنه في الصحاح ، البالغة حد التواتر . وفي ما يلي نذكر عددا من أقواله على سبيل المثال :

١ ـ قال النبي صلى الله عليه وسلم « كانت بنو إسرائيل تسوسهم الانبياء كلما هلك نبي خلفه نبي . وإنه لا نبي بعدي وسيكون خلفاء » . (رواه البخاري : كتاب المناقب ، باب ما ذكر عن بني اسرائيل) .

٢ ـ قال النبي صلى الله عليه وسلم « إن مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنى بيتاً فأحسنه وأجمله إلا موضع لبنة من زاوية فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له ويقولون هلا وضعت هذه اللبنة . فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين » . (رواه

البخاري : كتاب المناقب . باب خاتم النبيين) وقد أخرج مسلم أربعة أحاديث في هذا المعنى في صحيحه : كتاب الفضائل . باب خاتم النبيين . وزادفي الحديث الأخير « فجئت فختمت الأنبياء » وقد أخرج الترمذي هذا الحديث بعين ألفاظه في سننه : كتاب المناقب . باب فضل النبي . وكتاب الآداب . باب الامثال . كما قد أخرجه أبو داود الطيالسي في مسنده في حديث جابر بن عبد الله . وفي آخره قول النبي صلى الله عليه وسلم « فختم بي الأنبياء » . وقد أخرج الإمام أحمد عدة أحاديث في هذا المعنى مع اختلاف يسير في ألفاظها عن أبي بن كعب وابي سعيد الخدري وابي هريرة » .

إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : فضلت على الأنبياء بستّ : أعطيت جوامع الكلم . ونصرت بالرعب . وأحلت لي الغنائم وجعلت لي الأرض مسجدا وطهورا . وأرسلت الى الخلق كافة . وختم بي النبيون » . (رواه مسلم والترمذي وابن ماجه) .

٤ ــ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن الرسالة والنبوة قد انقطعت فلا رسول بعدي ولا نبي » . (رواه الترمذي في سننه : كتاب الرؤيا . باب ذهاب النبوة وقد أخرجه الإمام أحمد في مسنده في مرويات انس بن مالك) .

٥ ــ قال النبي صلى الله عليه وسلم : أنا محمد . وأنا أحمد وأنا الماحي الذي يمحى بي الكفر . وأنا الحاشر الذي يحشر

الناس على عقبه وأنا العاقب الذي ليس بعده نبي » . رواه الشيخان في صحيحهما : كتاب الفضائل باب اسماء النبي ، والترمذي في سننه : كتاب الآداب . باب أسماء النبي . والإمام مالك في الموطا · كتاب اسماء النبي والحاكم في مستدركه : كتاب التاريخ . باب اسماء النبي .

٦ ـ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الله لم يبعث نبياً إلا حذر أمته الدجال . وأنا آخر الأنبياء ، وأنتم آخر الأمم . وهو خارج فيكم لا محالة » (رواه ابن ماجه في سننه كتاب الفتن باب الدجال) .

٧ ـ عن عبد الرحمن بن جبير قال سمعت عبد الله بن عمر وبن العاص يقول : خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما كالمودع . فقال : « أنا محمد النبي الامي ثلاثا ولا نبي بعدي » (رواه الإمام أحمد في مسنده في مرويات عبد الله بن عمر وبن العاص) .

٨ ـ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا نبوة بعدي إلا المبشرات » . قيل : « وما المبشرات يا رسول الله ؟ » قال « الرؤيا الحسنة » أو قال « الرؤيا الصالحة » . (رواه أبو داود والنسائي والامام أحمد في مرويات أبي الطفيل) .

٩ ـ قال النبي صلى الله عليه وسلم « لو كان بعدي نبي لكان عمر بن الخطاب » (رواه الترمذي في سننه : كتاب المناقب) .

١٠ – قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعليّ : أنت مني بمنزلة هارون من موسى ، . إلا أنه لا نبي بعدي » رواه الشيخان في صحيحهما : كتاب فضائل الصحابة وقد أخرجه الشيخان في ذكر غزوة تبوك أيضاً . وأخرج الإمام في مسنده روايتين في هذا المعنى وفي آخر إحداهما قول النبي صلى الله عليه وسلم «ألا إنه لا نبوة بعدي ».ويعلم من الروايات التفصيلية التي أخرجها أبو داود الطيالسي والإمام أحمد ومحمد بن اسحاق في هذا الباب أن النبي صلى الله عليه وسلم أراد أن يخلف عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه بالمدينة عند توجهه الى تبوك . فقال فيه المنافقون ما قالوا فجاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال « يا رسول الله أتخلفني في الخالفة – المرأة القاعدة في البيت – في النساء والصبيان » ؟ فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ليطمئنه ويخفف من حزنه « أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى » ؟ أي إني لا أخلفك بالمدينة بعدي إلا كما خلف موسى هارون على بني إسرائيل حين واعده ربه ودعاه الى جبل طور . ولكن مع ذلك خاف رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يسبب تشبيهه عليا بهارون نوعا من الفتنة بعده فقال من فوره « ألا لانبي بعدي » .

١١ – عن ثوبان قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ...وإنه سيكون في أمتي كذابون ثلاثون كلهم يزعم أنــه نبي ، وأنا خاتم النبيين لا نبي بعدي » .رواه أبو داود في كتاب

الفتن . كما قد أخرج حديثاً آخر في هذا المعنى عن أبي هريرة في كتاب الملاحم . وقد أخرجهما الترمذي أيضاً عن ثوبان وأبي هريرة وفي آخرهما أن قال النبي صلى الله عليه وسلم :

« يبعث دجالون كذابون قريب من ثلاثين كلهم يزعم أنه رسول الله » .

١٢ — قال النبي صلى الله عليه وسلم « لقد كان فيمن كان قبلكم من بني إسرائيل رجال يكلمون من غير أن يكونوا أنبياء فإن يكن من أمتي أحد فعمر » . أخرجه البخاري في كتاب المناقب . وقد أخرجه مسلم أيضاً في صحيحه وفيه « محدثون » بدلا من « رجال يكلمون » . ولكن لا فرق بين المكلم والمحدث من حيث المعنى والمراد بهما : المشرف بالمكالمة الإلهية أو المكلم من وراء حجاب . ويدل هذا على أنه لو كان في هذه الأمة رجل مشرف بالمخاطبة الإلهية بغير نبوة لكان عمر رضي الله عنه

١٣ — قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا نبي بعدي ولا أمة بعد أمتي » . رواه الطبراني والبيهقي : كتاب الرؤيا .

١٤ — قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « فإني آخر الأنبياء وإن مسجدي آخر المساجد [1] » رواه مسلم في كتاب

(١) يستدل منكرو ختم النبوة بهذا الحديث على أن النبي صلى الله عليه —

الحج : باب فضل الصلاة بمسجد مكة والمدينة .

هذه هي أقوال الرسول صلى الله عليه وسلم في ختم النبوة قد رواها عنه جماعة كبيرة من الصحابة ونقلها عنهم عدد عظيم من المحدثين بطرق قوية . والذي يتبين من دراستها بكل

= وسلم كما قد قال وان مسجدي آخر المساجد مع أن ليس مسجده آخر المساجد ، وقد بني بعده ما لا يحصى من المساجد في الدنيا ، كذلك انه لما قال « أني آخر الأنبياء » فإن قوله هذا لا يمنع أن يأتي بعده الأنبياء ، غير أنه آخر الأنبياء وان مسجده آخر المساجد من حيث الفضل. ولكنّ الذي تدل عليه مثل هذه التأويلات السخيفة أن القوم قد حرموا نعمة فهم كلام الله ورسوله ، لأن نظرة شاملة في كل الروايات التي وردت حيث ورد هذا الحديث في صحيح مسلم أكثر من الكافي لتبين بأي معنى قال الرسول صلى الله عليه وسلم عن مسجده أنه آخر المساجد ؟ فالروايات التي أخرجتها مسلم عن أبي هريرة وعبد الله ابن عمرو وأم المؤمنين ميمونة رضي الله عنهم ونقلها في صحيحه مع هذا الحديث ، قيل فيها انه ليس في الدنيا إلا ثلاثة مساجد لها الفضل على سائر المساجد والصلاة فيها خير من ألف صلاة في غيرها ، فلا يجوز للناس — على هذا — أن يشدوا الرحال للصلاة في أي مسجد آخر غير هذه المساجد الثلاثة وهي : المسجد الحرام بمكة المكرمة ، الذي بناه ابراهيم عليه السلام ، والمسجد الأقصى ببيت المقدس ، الذي بناه سليمان عليه السلام ، والمسجد النبوي بالمدينة المنورة ، الذي بناه نبينا صلى الله عليه وسلم فمعنى قول النبي صلى الله عليه وسلم أنه لما كان آخر الأنبياء ولا يأتي بعده إلى يوم القيامة نبي آخر فلا يبنى في الدنيا بعد مسجده مسجد رابع تكون للصلاة فيه خيراً من الصلاة في المساجد الأخرى ويجوز شد الرحال للصلاة فيه .

وضوح وجلاء أن النبي صلى الله عليه وسلم قد صرح في مختلف المواضع وبمختلف الألفاظ وأساليب البيان بأنه آخر نبي . وأنه لن يأتي بعده أي نبي آخر الى يوم القيامة وأنه قد انتهت به سلسلة بعث الأنبياء والرسل من الله وإن كل من قام بدعوى النبوة أو الرسالة بعده . فهو كذاب أفاك دجال ضال مضل [١] فأي تفسير لقول الله عز وجل « وخاتم النبيين » عسى أن يكون أكثر صحة وأقوى إسنادا وأقطع ثبوتا وأوضح دلالة من هذا التفسير ؟ إن قول الرسول صلى الله عليه وسلم في حد ذاته حجة ويزداد قوة في الحجة إذا كان شرحا لنص من نصوص القرآن . ومن ذا عسى أن يكون أعرف بالقرآن وأحق بتفسير.

---

(١) وهل تعرف أيها القارىء بماذا يعارض منكر وختم النبوة هذه الأقوال للرسول صلى الله عليه وسلم ؟ ما يعارضونها إلا برواية عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت « قولوا انه خاتم النبيين ولا تقولوا لا نبي بعده » وأقول : ليست معارضة الأقوال الصريحة للنبي صلى الله عليه وسلم بقول من أقوال أحد أصحابه إلا تماد في الغي والضلال وإمعان في في الجهل ، إساءة الأدب مع مكانة الرسول صلى الله عليه وسلم وفوق هذا فليست الرواية التي ينقلون فيها هذا القول عن عائشة رضي الله عنها بحجة في نفسها إذ لم يذكرها عالم من علماء الحديث في كتاب من كتب الحديث ، وإنما نقلها صاحب « الدر المنثور » كتاب من كتب التفسير — وصاحب « تكملة مجمع البحار » كتاب لغة الحديث — ولا علم لأحد بإسنادها .

معانيه من محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يبين لختم النبوة معنى غير المعنى الذي بينه صلى الله عليه وسلم فنراه جديرا بالإلتفات اليه فضلا عن أن نقبله ونعترف بصحته ؟ أعاذنا الله من الغي بعد الهدى والجهل بعد العلم والعمى بعد البصيرة .

إجماع الصحابة على ختم النبوة

وإن إجماع الصحابة له الأهمية الكبرى بالدرجة الثالثة بعد القرآن والسنة .

ومما قد اتفقت عليه الروايات التاريخية الموثوق بها أن الصحابة حاربوا بإجماعهم كل من قام بدعوى النبوة بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم والذين آمنوا بنبوته وعاونوه على إظهار أمره .

وأحق بالذكر في هذا الشأن مسيلمة الكذاب ولم يكن منكرا لنبوة محمد صلى الله عليه وسلم ، وإنما كان من دعواه أنه قد أشرك مع محمد صلى الله عليه وسلم في أمر النبوة . وقد جاء في رسالته التي ارسلها الى النبي صلى الله عليه وسلم قبل وفاته عليه الصلاة والسلام : « من مسيلمة رسول الله الى محمد رسول الله. سلام عليك فإني اشركت في الأمر معك (١) » ، وفوق هذا فقد روى

(١) الطبري : تاريخ الأمم والملوك ج ٢ ص ٣٩٩ طبعة القاهرة .

الطبري ان كان من كلمات الأذان التي اتخذها مسيلمة « أشهد أن محمدا رسول الله » .

ولكن على هذا الإقرار الصريح بالرسالة المحمدية أجمع الصحابة رضوان الله عليهم على تكفيره واعتباره خارجاً من دائرة الإسلام وعلى ذلك قاتلوه . وقد ثبت من التاريخ كذلك أن كان بنو حنيفة آمنوا به وأيدوه في أمره عن إخلاص وصفاء نية (In Cood Faith) وحقاً كانوا قد انخدعوا بأن محمدا صلى الله عليه وسلم هو نفسه قد اشركه معه في أمر النبوة وذلك بأن رجلا كان تعلم القرآن في المدينة المنورة ذهب الى بني حنيفة وقرأ عليهم بعض آيات القرآن موهما إياهم أنها نزلت على مسيلمة [١] ولكن على الرغم من ذلك فإن الصحابة ما اعترفوا بإسلامهم وخرجوا لقتالهم . ثم إنه لا مجال للقول في هذا الصدد بأن الصحابة ما خرجوا لقتالهم بناء على ارتدادهم عن الإسلام وإنما خرجوا لقتالهم بناء على خروجهم على الدولة الإسلامية وشقهم عصا طاعتها . وبموجب القانون الإسلامي إذا قوتل البغاة الذين خرجوا على الدولة الإسلامية وشقوا عصا طاعتها ، فإنه لا يستعبد رجالهم ولا تسبى نساؤهم . بل لا يجوز ذلك حتى بالنسبة لأهل الذمة فضلا عن المسلمين . ولكن الصحابة خرجوا لقتال مسيلمة وأتباعه وأعلن أبو بكر الصديق رضي الله عنه « أن يحرقوا بالنار وأن يقتلوا كل قتلة وأن تسبى نساؤهم وذراريهم ولا يقبل من أحدهم غير الإسلام » . وفعلا إنهم لما أسروا استعبد رجالهم وسبيت نساؤهم ومنهم تسرى علي بن أبي

(١) ابن كثير ، البداية والنهاية ج ٥ ص ٤٥١ .

طالب بجارية ولدت له ابنه محمد بن الحنيفة [١].

وقد انضح بذلك جليا أن الجريمة التي من أجلها خرج الصحابة رضوان الله عليهم لمحاربة بني حنيفة ، ما كانت جريمة الخروج على الدولة وإنما كانت أن قام رجل منهم بدعوى النبوة وآمن به سائرهم . وقد وقع كل ذلك بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم على الفور وتحت قيادة أبي بكر الصديق وعلى إجماع من الصحابة كلهم ولعله لا يوجد على إجماع الصحابة مثال أوضح من ذلك .

(١) الحنفية أي امرأة من بني الحنيفة .

إجماع علماء الأمة عليها

وإن إجماع علماء الأمة بعد عصر الصحابة هو الحجة في مسائل الدين بالدرجة الرابعة بعد اجماع الصحابة . ونحن إذا نظرنا من هذه الجهة وجدنا علماء الأمة في كل زمان وفي كل مكان بعد القرن الأول الى يومنا هذا مجمعين بكل معنى الكلمة على العقيدة بأنه لا نبي بعد محمد صلى الله عليه وسلم . وإن كل من قام بعده بدعوى النبوة أو صدقه في دعواه هو كافر خارج دائرة الإسلام وجماعة المسلمين وإليك عدة شواهد بذلك :

١ ــ الإمام أبو حنيفة (٨٠ ــ ١٥٠ هـ) : تنبأ رجل في زمن أبي حنيفة رحمه الله وقال : أمهلوني حتى أجيء بالعلامات فقال أبو حنيفة : من طلب منه علامة فقد كفر لقوله عليه السلام « لا نبي بعدي ». »[1]

---

(١) تفسيره للقرآن ، ج ٢٢ ص ١٢

٢ ـ العلامة ابن جرير الطبري (٢٢٤ ـ ٣١٠ هـ) :
« ولكنه رسول الله وخاتم النبيين الذي ختم النبوة فطبع عليها فلا تفتح لأحد بعده الى قيام الساعة . »[١]

٣ ـ الإمام الطحاوي (٢٣٩ـ٣٢١ هـ) يقول بصدد بيانه عقائد أئمة السلف ولا سيما الإمام أبي حنيفة وأبي يوسف ومحمد رحمهم الله في كتابه العقيدة السلفية : « وإنه خاتم النبيين وإمام الأتقياء وسيد المرسلين وحبيب رب العالمين وكل دعوى النبوة بعده فغيّ وهوى »[٢] .

٤ ـ العلامة ابن حزم الأندلسي (٣٨٤ ـ ٤٥٦ هـ) :
« وإن الوحي قد إنقطع مذ مات النبي صلى الله عليه وسلم ، برهان ذلك أن الوحي لا يكون إلا الى نبي وقد قال عز وجل « ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين »[٣] .

٥ ـ الإمام الغزالي (٤٥٠ ـ٥٠٥ هـ) :إن الأمة فهمت بالإجماع من هذا اللفظ (أي لا نبي بعدي) ومن قرائن أحواله أنه أفهم عدم نبي بعده أبدا وعدم رسول بعده أبدا ، وإنه ليس

---

(١) روح البيان ٢٢ ص ١٨٨ ، ومناقب الإمام الأعظم لابن أحمد المكي طبعة حيدر آباد ج ١ ص ١٦٠

(٢) شرح الطحاوية في العقيدة السلفية المطبوع بدار المعارف بمصر ص ١٥ ، ٨٧ ، ٩٦ ـ ٩٧ ، ١٠٠ ، ١٠٢

(٣) المحلى : ج ١ ص ٢٦

فيه تأويل ولا تخصيص فمنكر هذا لا يكون إلا منكر الاجماع [١] .

٦ ــ محي السنة البغوي (٥١٠ هـ) : « ختم الله به النبوة فهو خاتمهم ... ويروى عن ابن عباس أن الله تعالى حكم أن لا نبي بعده » [٢].

٧ ــ العلامة الزمخشري (٤٦٧ ــ ٥٣٨ هـ) : « فإن قلت كيف كان آخر الأنبياء وعيسى ينزل في آخر الزمان ، قلت معنى كونه آخر الأنبياء أنه لا ينبأ أحد بعده وعيسى ممن نبيء قبله ، وحين ينزل ينزل عاملا على شريعة محمد مصليا الى قبلته كأنه بعض أمته » [٣].

٨ ــ القاضي عياض (ف٥٤٤ هـ) : ومن ادعى النبوة لنفسه أو جوز إكتسابها والبلوغ بصفاء القلب الى مرتبتهما كالفلاسفة وغلاة المتصوفة ، وكذلك من ادعي منهم أنه يوحي اليه وإن لم يدع النبوة ...فهؤلاء كلهم كفار مكذبون للنبي صلى الله عليه وسلم لأنه أخبر صلى الله عليه وسلم أنه خاتم النبيين لا نبي بعده وأخبر عن الله تعالى أنه خاتم النبيين وأنه أرسل كافة للناس . وأجمعت الأمة على حمل هذا الكلام على ظاهره وإن مفهومه والمراد به دون تأويل ولا تخصيص ، فلا شك في كفر هؤلاء الطوائف كلها قطعا إجماعا وسمعا » [٤].

---

(١) الاقتصاد في الاعتقاد : ص ١١٣ (المطبعة الأدبية ــ مصر)
(٢) تفسير القرآن « معالم التنزيل » ج ٣ ص ١٥٨
(٣) تفسير القرآن « الكشاف » : ج ٢ ص ٢١٥
(٤) الشفاء : ج ٢ ص ٢٧٠ ــ ٢٧١

٩ ــ العلامة الشهرستاني (ف٥٤٨ هـ) : وكذلك من قال . وإن بعد محمد صلى الله عليه وسلم نبيا غير عيسى بن مريم عليه السلام فإنه لا يختلف اثنان في تكفيره »[١] .

١٠ ــ الإمام الرازي (٥٤٣ ــ٦٠٦ هـ) : « وخاتم النبيين وذلك لأن النبي الذي يكون بعده نبي إن ترك شيئا من النصيحة والبيان يستدركه من يأتي بعده ، وأما من لا نبي بعده ، فيكون أشفق على أمته وأهدى لهم وأجدى إذ هو كوالد لولده الذي ليس له غيره من أحد »[٢].

١١ ــ العلامة البيضاوي (ف٦٨٥) : « أي آخرهم الذي ختمهم أو ختموا به ، ولا يقدح فيه نزول عيسى بعده لأنه إذا نزل كان على دينه »[٣] .

١٢ ــ العلامة حافظ الدين النسفي (ف٧١٠) : «وخاتم النبيين أي آخرهم ، يعني لا ينبأ أحد بعده وعيسى ممن نبيء قبله وحين ينزل ينزل عاملا على شريعة محمد صلى الله عليه وسلم كأنه بعض أمته »[٤] .

١٣ ــ العلامة علاء الدين علي بن محمد البغدادي (ف٧٢٥ هـ) : «وخاتم النبيين ، ختم الله به النبوة فلا نبوة بعده ولا معه ..

---

(١) الملل والنحل : ج ٣ ص ٣٤٩

(٢) التفسير الكبير ج ٦ ص ٥٨١

(٣) أنوار التنزيل : ج ٤ ص ١٦٤

(٤) مدارك التنزيل : ص ٤٧١

وكان الله بكل شيء عليما . أي دخل في علمه أنه لا نبي بعده »[١]

١٤ ـ العلامة ابن كثير الدمشقي (ف٧٧٤) : « فهذه الآية نص على أنه لا نبي بعده وإذا كان لا نبي بعده فلا رسول بطريق الاولى والأحرى . لأن مقام الرسالة اخص من مقام النبوة فإن كل رسول نبي ولا ينعكس »[٢]

١٥ ـ العلامة جلال الدين السيوطي (ف ٩١١ هـ) : « وكان الله بكل شيء عليما أي عليماً بأن لا نبي بعده وإذا نزل عيسى يحكم بشريعته »[٣] .

١٦ ـ العلامة ابن نجيم (ف ٩٧٠هـ) .إذا لم يعرف أن محمداً صلى الله عليه وسلم آخر الأنبياء فليس بمسلم لأنه من الضروريات[٤] .

١٧ ـ الملاّ علي القاري (ف ١٠١٦هـ) : ودعوى النبوة بعد نبينا صلى الله عليه وسلم كفر بالإجماع[٥] .

١٨ ـ الشيخ إسماعيل الحقي (ف ١٣٧ هـ) : «وخاتم النبيين ، قرأ عاصم بفتح التاء وهو آلة الختم بمعنى ما يختم بـــه

---

(١) الخازن : ص ٤٧١ – ٤٧٢
(٢) تفسير للقرآن : ج ٣ ص ٤٩٣
(٣) تفسير الجلالين : ص ٧٦٨
(٤) الأشباه والنظائر ، كتاب السر ، باب الردة : ص ١٧٩
(٥) شرح الفقه الأكبر : ص ٢٠٢

كالطابع بمعنى ما يطبع به ، والمعنى : وكان آخرهم الذي ختموا به ...وقرأ الباقون بكسر التاءأي كان خاتمهم أي فاعل الختم... فكانت علماء أمته ورثته عليه السلام من جهة الولاية ، وانقطع إرث النبوة بختميته ولا يقدح في كونه خاتم النبيين نزول عيسى بعده لأن معنى كونه خاتم النبيين أنه لا ينبأ بعده أحد كما قال لعلي : « أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي » وعيسى ممن تنبأ قبله وحين ينزل إنما ينزل على شريعة محمد عليه السلام مصليا الى قبلته كأنه بعض أمته فلا يكون اليه وحي ولا نصب احكام بل يكون خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم » [1] .

١٩ — وفي « الفتاوى العالمكيرية » التي ألفها عدد عظيم من كبار علماء الهند في القرن الثاني عشر على أمر من الملك العالمكير أورنك زيب : « إذا لم يعرف الرجل أن محمد صلى الله عليه وسلم آخر الأنبياء فليس بمسلم ولو قال « أنا رسول الله » أو قال بالفارسية «من بيغمبرام » (أنا نبي) يريد به من بيغام من برم (أنا آتي بالرسالة يكفر) [2] .

٢٠ — القاضي الشوكاني (ف ١٢٥٥ هـ) : « قرأ الجمهور « خاتم » بكسر التاء وقرأ عاصم بفتحها ومعنى القراءة الأولى أنه ختمهم أي جاء آخرهم ، ومعنى القراءة الثانية أنــه صار

---

(١) روح البيان : ج ٢٢ ص ١٨٨

(٢) ج ٢ ص ٢٦٣

كالخاتم لهم الذي يختمون به ويتزينون بكونه منهم »[١].

٢١ ـ العلامة الآلوسي (ف ١٢٧٠) : «والمراد بالنبي ما هو أعم من الرسول فيلزم من كونه صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين كونه خاتم المرسلين . والمراد بكونه عليه الصلاة والسلام خاتمهم انقطاع حدوث وصف النبوة في احد من الثقلين بعد تحليه عليه السلام بها في هذه النشأة...وكونه صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين مما نطق به الكتاب وصدعت به السنة وأجمعت عليه الأمة فيكفر مدعي خلافه ويقتل إن أصر [٢] .

هذا ما صرح به في ما يتعلق بختم النبوة أكابر العلماء والفقهاء والمحدثين والمفسرين في كل بلد من بلاد العالم من الهند الى مراكش وأندلس ومن تركيا الى اليمن . وقد ذكرنا مع أسمائهم سني ولادتهم ووفاتهم ، مما يستطيع القارىءإذا ألقى نظرة أن أن يعرف أن فيهم أكابر الأمة الاسلامية في كل قرن منذ بدء التاريخ الإسلامي الى أواخر القرن الثالث عشر الماضي. ونحن وإن كان بوسعنا أن نضيف الى أقوالهم أقوال علماء الاسلام في القرن الرابع عشر الجاري . ولكن قد صرفنا عنها النظر ولم نذكرها عمدا لأن لرجل أن يحتال ويقول جوابا عليها إن العلماء في القرن الجاري إنما بينوا هذا المعنى لختم النبوة عنادا لمن قام بدعوى النبوة في زمانهم ، لهذا فإننا لم نذكر إلا أقوال علماء الإسلام قبل القرن الجاري والظاهر في أمرهم أنهم لم يكونوا على

(١) فتح القدير : ج ٤ ص ٢٧٥

(٢) روح المعاني ج ٢٢ ص ٣٢ و ٣٩

عنادالرجل في هذا القرن .

ومما يثبت بهذه الأقوال قطعا أن العالم الاسلامي منذ القرن الاول الى هذا اليوم ما زال يرى معنى « خاتم النبيين »: آخرهم الذي لا نبي بعده . وإنه ما زال المسلمون مجمعين على العقيدة بانسداد باب النبوة الى أبد الآباد بعد محمد صلى الله عليه وسلم ، وإنه لم يختلف إثنان منهم قط في ان كل من قام بدعوى النبوة بعد محمد صلى الله عليه وسلم أو صدقه في دعواه وآمن بنبوته الزائفة ، هو كافر خارج من دائرة الأسلام .

ولكل ذي عينين أن يرى الآن بنفسه الى أي حد يجوز أن يفسر قوله تعالى « خاتم النبين » بمعنى غير المعنى الذي هو ثابت من اللغة وكلام العرب ، وهو ظاهر من سياق العبارة وسباقها في نص القرآن ، وهو ما قد صرح به النبي صلى الله عليه وسلم نفسه ، وهو ما أجمع عليه الصحابة ، وهو ما لم يختلف فيه اثنان من علماء الأمة الإسلامية منذ عصر الصحابة الى الوقت الحاضر في كل قطر من أقطار العالم الإسلامي ، وكيف يجوز بعد ذلك أن يفتح باب النبوة لمن دعاها لنفسه في هذا الزمان ، وكيف يجوز الإعتراف باسلام الذين ما أعلنوا رأيهم ببقاء باب النبوة مفتوحاً فحسب ، ولكن قد آمنوا كذلك بنبوة رجل ولج عن طريقه الى حرم النبوة .

وهناك ثلاثة أمور أخرى يجب التفكر فيها في هذا الصدد :

١ – هل الله عدو لإيماننا ؟

أوما أن ليس أمر النبوة بأمر هين . بل هو في غاية من الأهمية والخطورة والإرهاف لأن النبوة بموجب نصوص القرآن من العقائد الأساسية التي يتوقف على الإيمان أو عدم الإيمان بها إسلام المرء وكفره . ومن ذلك أن رجلا إن كان نبياً فلم نؤمن به . فقد كفرنا ، وهو إن لم يكن نبيا فآمنا به ، فقد كفرنا . ولذلك لا يرجى من الله تعالى عدم الوضوح في مثل هذا الأمر الخطر المرهف بطريق الاولى ، وهو لو كان مرسلا أحدا بعد محمد صلى الله عليه وسلم ، لصرح به بكلمات واضحة في كتابه ، وأمر رسوله محمد صلى الله عليه وسلم أن يصدع به بين الناس ، وما أدرك صلى الله عليه وسلم منيته قبل أن ينبه أمته تنبيهاً مكرر مؤكدا على أن الأنبياء سيأتون من بعده فعليهم أن يؤمنوا بهم ويعزروهم وينصروهم . وقل لي بالله أي حقد كان يضمره الله ورسوله علينا حتى أبيا أن يخبرانا بأن باب النبوة لا يزال مفتوحاً وأنه سيأتي بعد محمد صلى الله عليه وسلم نبي آخر يتوقف على الإيمان به إسلامنا ونجاتنا في الآخرة ، إن كان باب النبوة مفتوحاً وكان لنبي أن يأتي بعد محمد صلى الله عليه وسلم في حقيقة الأمر ؟ ليس هذا فحسب : بل قالا ما جعل الأمة تعتقد لثلاثة عشر قرناً ولا تزال تعتقد حتى اليوم وهو أن محمدا صلى الله عليه وسلم هو آخر الأنبياء وأنه ليس لأحد أن ينبأ بعده أبدا .

وإن كان باب النبوة لا يزال مفتوحا (كما يقول به بعض الضالين المضلين) وجاءنا من الله نبي لغرض المحال ، فلنا أن نكذبه تكذيبا ونرد عليه دعواه بدون ما خوف على أنفسنا ، إذ لا خوف إلا من بطش الله وعقابه ، فهو إن سألنا يوم القيامة : لماذا لم تؤمنوا بفلان وكنت بعثته إليكم نبياً ؟ وضعنا بين يديه كل هذا السجل الذي ذكرنا آنفاً لأقواله جلّ شأنه وأقوال رسوله محمد صلى الله عليه وسلم وقلنا له — والعياذ بالله — إن كتابك وسنة رسولك هما اللذان أضلانا وعرّضانا لهذا الخطر . ونرجوا أن الله لن يعاقبنا على عدم إيماننا بنبي جديد إذا وضعنا بين يديه هذا السجل لأقواله وأقول رسوله .

هذا ، إن كان باب النبوة لا يزال مفتوحا ، وأما إن كان مسدودا وما كان لاحد أن ينبأ بعد محمد صلى الله عليه وسلم في حقيقة الأمر ، ولكن على رغم هذا آمن شخص بنبي كذاب فعلى هذا الشخص أن يتفكر ملياً : أي سجل يستطيع أن يضعه بين يدي الله يوم القيامة ويرجو على أساسه النجاة من بطشه وعقابه ؟ عليه أن يستعرض منذ الآن كل ما قد أعد من المواد للدفاع عن نفسه قبل أن يحضر في محكمة الآخرة ، ويرى بمقارنة مواده بموادنا التي ذكرنا : هل يجوز له إن كان عاقلا أن يعرض نفسه لخطر غضب الله معتمدا على مثل هذه المواد ؟

٢ — هل الإنسانية في حاجة إلى نبي جديد ؟

والأمر الثاني الجدير بأن نتفكر فيه ، هو أن ليس . . . . .

صفة تنشأ في كل من يجعل نفسه أهلاً لها بالارتقاء والتقدم في العبادة وعمل الصالحات . ولا هي جائزة يمنحها الله عبداً من عباده مكافأة له على بعض خدماته وأعماله المرضية . وإنما هي منصب يوسده الله تبارك وتعالى الى من يصطفيه من عباده لإنجاز مهمة خاصة : بحيث إن هذه الحاجة إذا إقتضت أن يكون لها من يحققها أسندها الله تعالى الى من يشاء من عباده ، وإذا لم تكن هنالك هذه الحاجة أو لم تبق ، فإن الله لا يرسل نبيا لتحقيقها أصلاً .

ونحن إذا تتبعنا أي القرآن بغية أن نعرف الأسباب التي لأجلها تكون الحاجة الى إرسال نبي في أمة من أمم الأرض ، علمنا ان هذه الأسباب أربعة .

١ — كانت هذه الأمة ما جاءها من الله نبي من قبل ولا من تعاليم نبي مبعوث في أمة غيرها أن تصل اليها .

٢ — كان قد أرسل اليها نبي من قبل ولكن كان تعليمه قد انمحى أو لعبت به يد النسيان والتحريف حتى لم يعد بإمكان الناس أن يتبعوه إتباعاً كاملاً صحيحاً .

٣ — كان قد أرسل اليها نبي من قبل ولكن تعاليمه ما كانت كاملة ولا هدايته كانت شاملة فكانت الحاجة الى المزيد من الأنبياء لإكمال الدين .

٤ — كان قد أرسل اليها نبي ولكن كانت الحاجة تقتضي أن يرسل معه نبي آخر لتصديقه وتأييده ومن الظاهر أن كل سبب من هذه الأسباب الأربعة قد زال بعد النبي [illegible]

وسلم فلا حاجة للأمة الإسلامية ولا لأية أمة أخرى في العالم الى أن يرسل اليها نبي جديد بعد محمد صلى الله عليه وسلم :

قد تولى القرآن بنفسه بيان إن كانت بعثة النبي محمد صلى الله عليه وسلم الى الناس كافة ولهداية الدنيا كلها . «قل يا أيها الناس إني رسول الله اليكم جميعا » وأيضاً مما يدل عليه تاريخ الحضارة في الدنيا أن الظروف في العالم ما زالت منذ بعثته صلى الله عليه وسلم ولا تزال مهيأة بحيث من الممكن أن تصل دعوته الى كل صقع من أصقاع العالم والى كل أمة من أممه ، فلا حاجة بعد ذلك الى نبي جديد الى أمة من أمم الدنيا أو صقع من أصقاعها ،فبذلك قد زال السبب الاول .

ومما يشهد به القرآن كذلك وتؤيده عليه ذخيرة كتب الحديث والسيرة أن التعليم الذي جاء به النبي محمد صلى الله عليه وسلم لايزال حيا محفوظا على صورته الحقيقية ولم تلعب به يد النسيان ولا التحريف والتبديل . اما الكتاب الذي جاء به فما وقع التحريف ولا النقص ولا الزيادة في أي حرف من أحرفه ولا من الممكن أن يقع الى يوم القيامة . وأما الهداية التي أعطاها للناس بأقواله وأفعاله فإننا نجد آثارها حتى اليوم حية مصونة كأننا امام شخصه صلى الله عليه وسلم وفي زمانه . فبذلك قد زال السبب الثاني أيضا .

ثم إن القرآن ليصرح كذلك بأن الله تعالى قد أكمل دينه بواسطة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ، فبذلك قد زال السبب الثالث أيضاً .

ثم إن الحاجة لو كانت تقتضي إرسال نبي مع النبي محمد صلى الله عليه وسلم لتأييده وتصديقه لأرسل في زمانه صلى الله عليه وسلم . فبذلك قد زال السبب الرابع أيضاً » .

فأي سبب خامس بعد زوال هذه الأسباب الأربعة عسى أن يقتضي بعثة نبي جديد بعد محمد صلى الله عليه وسلم ؟ ... وإن قيل إن الأمة قد فسدت فالعمل على إصلاحها يحتاج الى بعثة نبي جديد ، قلنا : هل بعث نبي في الدنيا لمجرد الإصلاح حتى يبعث في هذا الزمان لمجرد هذا الغرض ؟ إن النبي لا يبعث إلا ليوحى اليه ، ولا تكون الحاجة الى الوحي الا لتبليغ رسالة جديدة أو إكمال رسالة متقدمة أو لتطهيرها من شوائب التحريف والتبديل . فلما قد قضيت كل هذه الحاجات الى الوحي بحفظ « القرآن وسنة محمد صلى الله عليه وسلم وإكمال الدين على يده صلى الله عليه وسلم . فلم تبق الحاجة الآن الى الأنبياء وإنما هي الى المصلحين .

ما النبوة الجديدة برحمة للأمة وإنما هي لعنة من لعنات الله :

والأمر الثالث الذي يدعونا الى التفكر في هذا الشأن هو أن النبي لا يبعث في أمة إلا وينشأ فيها — بدون ما تأخير قضية الكفر والإيمان . وذلك أن الذين يؤمنون به يكونون أمة . والذين لا يؤمنون به يكونون أمة أخرى لا محالة والإختلاف بين هاتين الأمتين لا يكون اختلافا فرعيا وإنما يكون اختلافاً

اساسيا . اختلاف الكفر والإيمان ، الذي من شأنه أن لا يسمح لهما بالإتحاد والإجتماع ما لم تتخل إحداهما عن عقيدتها ، ولا بد ــ الى ذلك ــ أن يكون مصدر الهداية والقانون لإحداهما غير مصدرهما للاخرى فعلا ، لأن إحداهما إنما تستمد القانون لحياتها من وحي وسنة نبيها الذي تؤمن به ، بينما تأبى الأخرى أن تعترف بوحيه وسنته مصدرا للقانون أصلا ، فلا إمكان ــ لهذا ــ أن تكوّنا من بينهما مجتمعا موحدا أبدا .

ولعمر الحق ان الانسان اذا وضع هذه الحقائق نصب عينيه ، فإنه لا يلبث أن يعرف جليا أن ختم النبوة من أعظم نعم الله وبركاته على الأمة الإسلامية ، إذ به وحده أصبحت لهذه الأمة أن تظهر في الدنيا بمظهر أخوة عالمية خالدة ، وهو الذي قد صان المسلمين من أن يذهبوا ضحايا كل اختلاف أساسي قد يثير بينهم الفرقة والشقاق الى أبد الآباد ، فكل من يعتقد الآن بقيادة محمد صلى الله عليه وسلم ، ولا يرى الرشد والصلاح الا في هديه صلى الله عليه وسلم ، ولا يستمد القانون والهداية من مصدر غير تعليمه صلى الله عليه وسلم ، هو فرد من أفراد هذه الأخوة . أو له أن يكون كذلك إذا شاء . أما لو كان باب النبوة مفتوحا ، لما كان لهذه الأمة أن تتمتع بمثل هذه الأخوة . وكان من شأنها أن تتفرق قددا كلما ظهر في الدنيا نبي جديد .

وهو إذا تفكر في هذه القضية تبيلا بعيدا عن العناد والعصبية الطائفية ، فلا بد أن يشهد عقله بأن الله تعالى لما قد بعث نبيا واحداً للعالم كله ، ولما قد أكمل الدين بواسطة هذا النبي ، ولما قد أخذ

على نفسه أن يحفظ تعاليمه الى يوم القيامة كان من اللازم ـــ ؟ ـــ أن يوصد باب النبوة بعده ، حتى يجتمع على اتباعه وتحت رايته أهل الإيمان كلهم ولا يشكلوا في الدنيا الى قيام الساعة إلا أمة واحدة ولا يتفرقوا مرة بعد مرة الى أمم شتى مع بعثة كل نبي جديد بدون ماحاجة اليها .

وسواء أكان النبي « ظليا » أو « بروزيا » أو « أمتيا » أو « صاحب كتاب » و« صاحب شريعة » . فإنه لا بد أن يكون من نتيجة بعثته ـــ كلما كان مبعوثا من الله ـــ أن يشكل المؤمنون به أمة مستقلة . ولا يكون كل من لا يؤمن به إلا كافرا . والفرقة على هذا الوضع لا مندوحة عنها إن كانت ثمة حاجة حقيقة الى بعثة نبي جديد . ولكنه من البعيد عن حكمة الله ورحمته بعباده أن يعرضهم للصراع بين الكفر والإيمان ولا يدعهم يظهرون في الدنيا بمظهر أمة واحدة حتى ولو لم تكن ثمة حاجة حقيقية الى بعثة نبي جديد . إذن ...فالذي هو ثابت من القرآن والذي هو ثابت من السنة وإجماع الأمة . هو الذي يعترف العقل بصحته وسداده . ومن مقتضاه أن لا يكون باب النبوة إلا مسدودا .

حقيقة المسيح الموعود

يقول دعاة النبوة الجديدة الذين لا يعلمون من المسلمين عامة إن الأحاديث قد ورد فيها الخبر بمجيء « المسيح الموعود » وان المسيح كان نبيا ، فلا يقدح مجيئه في ختم النبوة ، أي لا شك أن ختم النبوة حق ولكن من الحق كذلك مجيء « المسيح الموعود » .

ومما يقولون في هذا الصدد أن ليس عيسى بن مريم هو المراد بالمسيح الموعود في الأحاديث لأنه قد مات . وإنما الذي تخبر الأحاديث بمجيئه هو « مثيل المسيح » أي « مسيح مثل عيسى بن مريم » وهو فلان الذي قد ظهر ، فما الإعتقاد به بمعارض لعقيدة ختم النبوة .

ولكشف هذا الدجل نسرد في ما يلي ما يتعلق بهذه المسألة من الروايات المستندة المذكورة في أصح كتب الحديث المشهورة . ولكل شخص أن يعرف بالنظر في هذه الأحاديث ماذا قال الرسول صلى الله عليه وسلم وما يموه هؤلاء به قومهم ؟

الأحاديث في نزول عيسى بن مريم :

١ — عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « والذي نفسي بيده ليوشكن فيكم ابن مريم حكما عدلا فيكسر الصليب ويقتل الخنزير [١]. ويضع الحرب — وفي رواية يضع الجزية [٢] — ويفيض المال حتى لا يقبله أحد حتى تكون السجدة الواحدة خيرا من الدنيا وما فيها . »[٣]

٢ — وعنه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « لا تقوم

---

(١) ومعنى كسره الصليب وقتله الخنزير أنه يقضي على المسيحية كدين مستقيم إن المسيحية لا يقوم كل بنيانها إلا على العقيدة القائلة بأن الله قد أمات ابنه الوحيد « أي عيسى ابن مريم » مصلوباً ميتة « اللعنة » فأصبح بذلك كفارة بذنوب البشر . ومن المزايا الخاصة بالمسيحيين دون سائر أمم الأنبياء أنهم اقتصروا على العقيدة ورفضوا شريعة الله بتاتاً حتى استباحوا الخنزير وكان حراماً في شرائع الأنبياء جميعاً ، فعندما يأتي عيسى عليه السلام ويعلن بنفسه أنه ليس ولد الله ولا قد مات مصلوباً ولا صار كفارة عن ذنوب أحد ، فلا يبقى أساس ما لعقيدة المسيحيين . وكذلك أنه عندما يبين أنه ما أحل الخنزير لأتباعه ولا حللهم من قيود الشريعة ، يكون في ذلك قضاء على المزية الثانية للديانة المسيحية .

(٢) معناه أن الاختلافات بين الملل والنحل ستنتهي عند ذاك وسيدخل الناس كلهم في ملة واحدة هي ملة الاسلام فلا تكون ثمة حرب ولا توضع الجزية على أحد . وهذا ما يدل عليه الحديثان السادس والخامس عشر الآتيان .

(٣) البخاري : كتاب أحاديث الأنبياء باب نزول عيسى . ومسلم : باب بيان نزول عيسى والترمذي : أبواب الفتن ، باب [illegible] عيسى والامام أحمد : مرويات أبي هريرة

الساعة حتى ينزل عيسى بن مريم ...» ثم قال بعد ذلك ما قد ذكر في الرواية السابقة (١) .

٣ — وعنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : «كيف أنتم إذا نزل ابن مريم فيكم وامامكم منكم (٢) ؟

٤ — وعنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ينزل عيسى بن مريم فيقتل الخنزير ويمحو الصليب وتجمع له الصلاة ويعطى المال ، حتى لا يقبل ويضع الخراج وينزل الروحاء (٣) فيحج منها أو يعتمر ، أو يجمعهما (شك من الراوي) (٤)

٥ — وعنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (بعد ذكر خروج الدجال) :...فبينما هم — أي المسلمون — يعدون للقتال يسوون الصفوف إذا أُقيمت الصلاة فينزل عيسى بن مريم فأمهم فإذا رآه عدو الله يذوب كما يذوب الملح في الماء، فلو تركه لا نذاب حتى يهلك ولكن يقتله الله بيده فيريهم دمه في حربته » (٥).

---

(١) البخاري : كتاب المظالم ، باب كسر الصليب ، وابن ماجه : كتاب الفتن ، باب فتنة الدجال .

(٢) أي إن عيسى لا يؤمكم في الصلاة وإنما يصلي خلف إمام المسلمين في تلك الأيام والرواية للبخاري : كتاب أحاديث الأنبياء ، باب نزول عيسى . ومسلم : بيان نزول عيسى ، والإمام أحمد : مرويات أبي هريرة .

(٣) موضع على مسافة ٣٥ ميلا من المدينة .

(٤) مسلم : كتاب الحج ، باب جواز التمتع في الحج والقران ، والإمام أحمد : مرويات أبي هريرة

(٥) مشكاة المصابيح : كتاب الفتن — باب الملاحم نقلا عن صحيح مسلم

٦ ــ وعنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « ليس بيني وبينه نبي (يعني عيسى) وإنه نازل فإذا رأيتمو ه فاعرفوه رجل مربوع الى الحمرة والبياض ، بين مصرتين كأن رأسه يقطر وإن لم يصبه بلل فيقاتل الناس على الاسلام فيدق الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويهلك الله في زمانه الملل كلها إلا لإسلام ويهلك المسيح الدجال فيمكث في الأرض أربعين سنة م يتوفى فيصلي عليه المسلمون (١)

٧ ــ وعن جابر بن عبد الله قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم « ...فينزل عيسى بن مريم صلى الله عليه وسلم فيقول أميرهم تعال فصل فيقول : لا ، إن بعضكم على بعض امراء تكرمه الله هذه الأمة » (٢).

٨ ــ وعنه (في قصة ابن صياد) فقال عمر بن الخطاب : إئذن لي فاقتله يا رسول الله » فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ان يكن هو فلست صاحبه ، إنما صاحبه عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام ، وان لا يكن فليس لك أن تقتل رجلا من أهل العهد (٣) .

---

(١) أبو داود : كتاب الملاحم باب خروج الدجال . والإمام أحمد : مرويات أبي هريرة .

(٢) مسلم : بيان نزول عيسى بن مريم . والإمام أحمد : مرويات جابر بن عبد الله .

(٣) مشكاة المصابيح كتاب الفتن ، باب قصة ابن صياد نقلا عن شرح السنة للبغوي .

٩ – وعنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (في قصة الدجال) : ...فإذا هم بعيسى بن مريم عليه السلام فتقام الصلاة فيقال له : تقدم يا روح الله فيقول : ليتقدم إمامكم فليصل بكم فإذا صلى صلاة الصبح خرجوا اليه » ، فحين يرى الكذاب ينماث كما ينماث الملح في الماء فيمشي اليه فيقتله حتى أن الشجر والحجر ينادي : ياروح الله : هذا اليهودي فلا يترك ممن كان يتبعه احدا إلا قتله (١).

١٠ – وعن النواس بن سمعان أن النبي صلى الله عليه وسلم قال (في قصة الدجال) : ...« فبينما هو كذلك إذ بعث الله المسيح بن مريم فينزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق مهرودتين (٢) واضعا كفيه على أجنحة ملكين ، إذا طأطأ رأسه قطر ، وإذا رفعه تحدر منه جمان كاللؤلؤ ، فلا يحل لكافر يجد ريح نفسه إلا مات ونفسه ينتهي الى حيث ينتهي طرفه فيطلبه حتى يدركه بباب لد (٣) فيقتله (٤) » .

---

(١) الإمام أحمد : مرويات جابر بن عبد الله

(٢) ثوبين أصفرين مصبوغين بالورد وقيل ثوبين أصفر

(٣) هو في هذه الأيام موضع في فلسطين المحتلة على مسافة بضعة أميال من تل أبيب ويعرف بالانكليزية بـ « Lydda » وقد أنشأ فيه اليهود مطاراً عظيماً .

(٤) مسلم : ذكر الدجال وأبو داود : كتاب الملاحم ، باب خروج الدجال ، والترمذي : أبواب الفتن ، باب في فتنة الدجال . وابن ماجه ، كتاب الفتن ، باب فتنة الدجال .

١١ — وعن عبدالله بن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يخرج الدجال في امتي فيمكث أربعين (لا أدري أربعين يوما أو أربعين شهرا أو اربعين عاما) [١]. فيبعث الله عيسى بن مريم كأنه عروة بن مسعود فيطلبه فيهلكه ، ثم يمكث الناس سبع سنين ليس بين اثنين عداوة . » [٢]

١٢ — وعن حذيفة بن أسيد الغفاري قال طلع رسول الله صلى الله عليه وسلم علينا ونحن نتذاكر ، فقال : « ما تذكرون »؟ قالوا : « نذكر الساعة » ، قال : إنها لن تقوم حتى ترون قبلها عشر آيات » ، فذكر الدخان والدجال والدابة وطلوع الشمس من مغربها ونزول عيسى بن مريم ويأجوج وثلاثة وثلاثة خسوف : خسف بالمشرق وخسف بالمغرب ، وخسف بجزيرة العرب ، وآخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس الى محشرهم . » [٣]

١٣ — عن ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن النبي صلى الله عليه وسلم : عصابتان من أمتي احرزهما الله تعالى من النار عصابة تغزو الهند ، وعصابة تكون مع عيسى بن مريم عليه السلام . » [٤]

---

(١) قول من عبد الله بن عمرو بن العاص

(٢) مسلم : ذكر الدجال

(٣) مسلم : كتاب الفتن وأشراط الساعة . وأبو داود : كتاب الملاحم ، باب أمارات الساعة .

(٤) النسائي : كتاب الجهاد ، والإمام أحمد : مرويات ثوبان

١٤ ــ وعن مجمع بن جارية قال «سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : يقتل ابن مريم الدجال بباب لد »[١].

١٥ ــ عن أبي امامة الباهلي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (في حديث طويل في ذكر الدجال) «...فبينما إمامهم قد تقدم يصلي بهم الصبح إذ نزل عليهم عيسى بن مريم فرجع ذلك الإمام ينكص يمشي قهقرى ليقدم عيسى فيضع عيسى يده بين كتفيه ثم يقول له : تقدم فصل فإنها لك أقيمت فيصلي بهم إمامهم ، فإذا انصرف قال عيسى عليه السلام : إفتحوا الباب فيفتح ووراءه الدجال ومعه سبعون ألف يهودي كلهم ذو سيف محلى وساج ، فإذا نظر اليه الدجال ذاب كما يذوب الملح في الماء وينطلق هاربا ويقول عيسى إن لي فيك ضربة لن تسبقني بها فيدركه عند الباب اللد الشرقي فيهزم الله اليهود ...وتملأ الارض من المسلم كما يملأ يملأ الاناء من الماء ، وتكون الكلمة واحدة فلا يعبد الا الله تعالى . »[٢]

١٦ ــ وعن عثمان بن أبي العاص قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « ... وينزل عيسى بن مريم عليه السلام عند صلاة الفجر فيقول له أميرهم : يا روح الله تقدم» فيقول : هذه الأمة لامراء بعضهم على بعض ، فيقدم أميرهم فيصلي بهم فإذا قضى صلاته أخذ عيسى حربته فيذهب

---

(١) الإمام أحمد والترمذي : أبواب الفتن

(٢) ابن ماجه : كتاب الفتن ، باب فتنة الدجال

نحو الدجال فإذا رآه الدجال ذاب كما يذوب الرصاص فيضع حربته بين شندوبته فيقتله وينهزم أصحابه . ليس يومئذ شيء يواري منهم احدا . حتى إن الشجرة لتقول يا مؤمن هذا كافر ويقول الحجر يامؤمن هذا كافر »(١)

١٧ – وعن سمرة بن جندب عن النبي صلى الله عليه وسلم (في حديث طويل) ...« فيصبح فيهم عيسى بن مريم فيهزمه الله وجنوده حتى إن أجذم الحائط أصل الشجر لينادي: يا مؤمن هذا كافر يستتر بي فتعال اقتله »(٢) .

١٨ – وعن عمران بن الحصين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين على من ناوءهم حتى يأتي أمر الله تبارك وتعالى وينزل عيسى ابن مريم عليه السلام »(٣).

١٩ – وعن عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (في قصة الدجال) : ...فينزل عيسى عليه السلام فيقتله ثم يمكث عيسى عليه السلام في الارض أربعين سنة إماما عادلا وحكما مقسطاً »(٤).

٢٠ – وعن سفينة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (في قصة الدجال) :

---

(١) أحمد والطبراني والحاكم .
(٢) مسند الإمام أحمد وحاكم
(٣) مسند الإمام أحمد
(٤) مسند الإمام أحمد .

..فينزل عيسى عليه السلام فيقتله الله تعالى عند عقبة أفيق [١]

٢١ – وعن حذيفة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (في ذكر الدجال) : ...فلما قاموا يصلون نزل عيسى بن مريم أمامهم فصلى بهم ، فلما انصرف قال هكذا فرجوا بيني وبين عدو الله ... ويسلط الله عليهم المسلمين فيقتلونهم حتى ان الشجر والحجر لينادي ياعبد الله يا عبد الرحمن ! يا مسلم ! هذا اليهودي فاقتله ، فيفنيهم الله تعالى ويظهر المسلمون ، فيكسرون الصليب ويقتلون الخنزير ، ويضعون الجزية . » [٢]

هذه رواية عن ١٤ صحابيا وردت بالطرق الصحيحة في أصح كتب الحديث . ونزول عيسى بن مريم عليه السلام وإن قد ورد ذكره في روايات كثيرة أخرى أيضاً، ولكننا لم نذكرها هنا خشية طول الكلام وانما اكتفينا بذكر الروايات القوية اسنادا .

ماذا تدل عليه هذا الروايات :

وكل من يقرأ هذه الأحاديث ، ير بنفسه أنه ما ورد فيها

(١) هي آخر مدينة على الحدود بين سوريا ودويلة إسرائيل وهي معر ـفة هذه الأيام بـ «فيق» . وأمامها من جهة الغرب بحيرة طبرية التي ينحاز منها نهر الأردن ، وفي جهتها الجنوبية الغربية طريق جبلي ينحدر إلى نحو ألفي قدم حتى يصل إلى الموضع الذي ينبع فيه نهر الأردن من بحيرة طبرية . فهذا الطريق الجبلي هو المعروف « بعقبة أفيق » .

(٢) رواه الحاكم وقد رواه مسلم أيضاً مختصراً وصححه الحافظ في فتح الباري : ج ٦ ص ٤٥٠

ذكر « مسيح موعود » أو « مثيل للمسيح » أو « مظهر للمسيح » أصلا ، ولا هي تترك مجالا لشخص يولد في هذا الزمان من بطن أم ونطفة والد ثم يقوم بين الناس بدعوى أنه ذلك المسيح الذي أخبر بمجيئه سيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم ، وانما الذي تدل على نزوله دلالة واضحة قاطعة هو عيسى عليه السلام ، ذلك المسيح الذي ولد قبل ألفي سنة من بطن مريم عليها السلام بغير أب . ولسنا في هذا المقام بحاجة الى إثارة البحث حول موته أو وجوده حيا في موضع من المواضع لأننا إن فرضنا أنه قد مات ، فالله قادر على بعثه بعد موته [1] ، والا فليس بعزيز على الله أن يبقي عبدا من عباده حيا يرزق الى آلاف من السنين ويسكنه حيث شاء في كونه الفسيح ثم يعيده الى الدنيا متى أراد

مهما يكن الأمر . فإنه لا بد لمن كان على إيمان بحديث الرسول صلى الله عليه وسلم أن يعترف بأن الذي يجيء هو عيسى ابن مريم عليهما السلام وإنه ينزل ولا يولد . وأما من كان لا يؤمن بحديث الرسول صلى الله عليه وسلم ، فليس له أن يعتقد بمجيء أحد أبدا . لأن العقيدة بمجيء أحد لا تقوم على شيء غير أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم ؛ ولكن من المضحك المبكي أن تؤخذ العقيدة القائلة بمجي أحد من أحاديث الرسول

---

(١) من شك في ذلك فليقرأ قوله تعالى : « أو كالذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها ، قال أنى يحيي هذه الله بعد موتها ، فأماته الله مائة عام ثم بعثه » (البقرة : ٢٥٩) .

صلى الله عليه وسلم ولكن يصرف النظر — في الوقت ذاته — عما في هذه الأحاديث من التصريح بأن الذي يجيء هو عيسى ابن مريم لا مثيل للمسيح .

والأمر الثاني الذي هو ظاهر من هذه الروايات بمثل هذا الوضوح نفسه ، هو أن عيسى بن مريم لا ينزل نزوله هذا كنبي مبعوث من الله تعالى اذ لا ينزل عليه الوحي ، ولا يأتي من الله برسالة جديدة أو أحكام جديدة ولا يضيف الى الشريعة المحمدية شيأ لا ينقص منها ، ولا يعاد الى الدنيا لتجديد الدين أو لدعوة الناس الى الإيمان به أو لتشكيل أمة مستقلة من الذين يؤمنون به (١) وإنما يعاد ليقوم بمهمة خاصة هي استئصال فتنة الدجال ، وهو لهذا الغرض ينزل بطريق لا يدع المسلمين الذين يرونه نازلا يشكون في أنه عيسى بن مريم قد نزل في موعده كما أخبر به رسول الله عليه وسلم ، وأنه بعد نزوله يضم نفسه الى جماعة المسلمين ويصلي خلف إمامهم (٢) ويقتدي بأميرهم . وذلك ليقطع كل شبهة بأنه قد أعيد لاستئناف القيام بواجبات النبوة في عهده السابق . والظاهر ان جماعة من الناس اذا كان

---

(١) راجع الذيل الأول .

(٢) وقد ورد في الروايتين : ٥ و ١٢١ من الروايات المذكورة آنفاً أن عيسى ابن مريم حين ينزل يصلي بالمسلمين إلا أن أكثر الروايات وأقواها إسناداً (وهي رقم ٣ و ٧ و ٩ و ١٥ و ١٦ (توضح أنه عليه السلام يرفض الإمامة ويقدم إمام المسلمين آنذاك ويصلي خلفه . وهـذا ما قـد اتفق عليه جميع المحدثين والمفسرين رحمهم الله تعلى .

فيهم رسول من الله ، فلا تكون الإمامة والإمارة لأحد غيره . فكأنه بضمه نفسه الى جماعة المسلمين كفرد منهم ، يعلن أنه ما أعيد الى الدنيا كنبي من الله ، وبناء على ذلك لا ينشأ السؤال قطعا عن افتضاض خاتم النبوة بنزوله .

انما يكون مجيئه في نوعيته – لا في مشابهته – كمثل أن يأتي في عهد رئيس للدولة رئيس سابق ويؤدي تحت سلطته ووفق احكامه وظيفة من وظائف الدولة . إنه لمما يعرفه كل من له أدنى نصيب من العقل والفهم إن مجرد مجيء رئيس سابق في عهد رئيس قائم المنصب لا يخالف الدستور وإنما تحصل مخالفة الدستور في احدى حالتين : اما أن يحاول الرئيس السابق بعد مجيئه أن يتسلم منصب الرئاسة ويؤدي واجباته ،أو أن ينكر أحد حتى الإعتراف برئاسته السابقة لانه بذلك يتحدى مشروعية كل الأعمال التي كانت قد تمت في عهد رئاسته . وإما اذا لم توجد أية من هاتين الحالتين ، فإن مجرد مجيء الرئيس السابق لا يؤثر شيئاً في الوضع الدستوري.وهكذا فإن مجرد عودة عيسى عليه السلام الى الدنيا لا تؤثر شيئاً في ختم النبوة بمحمد صلى الله عليه وسلم ، وانما هي تحصل لدستور الله للنبوة لو جاء عيسى عليه السلام وتسلم منصب النبوة ثم بدأ يؤدي واجباته ، أو لو أنكر أحد حتى الإيمان بنبوته السابقة . والاحاديث قد سدت الطريق الى كل من هاتين الحالتين بكل ايضاح وتفصيل : تصرح من جانب بأن لا نبي بعد محمد صلى الله عليه وسلم وتخبر من جانب آخر بنزول عيسى بن مريم عليه السلام مرة

أخرى ، فالظاهر من هذا أن نزوله لا يكون لاداء واجبات النبوة .

كما أنه لا تنشأ بنزوله قضية جديدة للإيمان والكفر بين المسلمين لأن نبوته السابقة اذا لم يؤمن بها أحد حتى اليوم ، ما عد مسلما وقد كان يؤمن بها محمد صلى الله عليه وسلم نفسه ، وأيضاً تؤمن بها أمته منذ أول عهدها الى يومها هذا . وهكذا يكون الوضع تماما بعد نزوله عليه السلام ، لأن المسلمين عند ذاك لا يؤمنون بنبوة جديدة وانما يؤمنون بنبوته السابقة كما يؤمنون بها اليوم . وكل هذا كما لا يخالف ختم النبوة اليوم كذلك لا يخالفه في تلك الأيام .

وآخر ما جاء بيانه في هذه الأحاديث وفي أحاديث كثيرة أخرى أن الدجال — الذي ينزل عيسى بن مريم عليه السلام لاستئصال فتنته العظيمة — يكون من اليهود ويعرض نفسه على الناس بدعوى أنه المسيح . ومن المحال على أحد أن يدرك حقيقة هذا ما لم يكن على المام بتاريخ اليهود وعقائدهم الدينية ومخططاتهم البغيضة .

إن بني إسرائيل لما ظلوا ينحدرون الى التدهور والزوال يوماً فيوماً بعد سليمان عليه السلام حتى استعبدتهم مملكتا بابل وأسيريا ، ومزق جمعهم في الارض ، أخذ أنبياؤهم يبشرونهم بظهور مسيح يخرجهم مما صاروا فيه من البؤس والذلة والمسكنة ، فكانوا بناء على تنبؤات الأنبياء هذه يتوقعون ظهور مسيح ملكاً يفتح البلاد بقتال أهلها ويجمع بني إسرائيل في فلسطين ويؤسس لهم فيها دولة عظيمة ، ولكن لما جاءهم عيسى بن مريم عليهما

السلام مسيحا من عند الله ولم يأت بجيش لفتح البلاد . أبوا أن يؤمنوا بمسيحيته ودبروا الحيل لقتله . ومنذ تلك الايام الى ايامنا الحاضرة فإن اليهود في العالم لا يزالون منتظرين للمسيح الموعود (Promised Messiah) الذي كانوا قد بشروا بظهوره على السنة أنبيائهم ، وان كتبهم مليئة بذكر الأحلام المعسولة عن عهده الذهبي ولا يزالون منذ عدة قرون يعللون أنفسهم باللذة الخيالية بصفتها المرسومة في التلمود وأدبيات الربيين . ويرجون أن يكون هذا المسيح الموعود زعيما سياسيا محنكا وقائدا مربيا عظيما يسترد لهم ما بين النيل والفرات — وهو ما يرونه أرضهم الموعودة ودولة أجدادهم وآبائهم — ويدعو اليهود من كل أنحاء العالم يحشدهم مرة أخرى في دولتهم هذه .

هذا . واذا القينا الآن نظرة على الظروف الراهنة اليوم في الشرق الاوسط وتأملنا فيها على ضوء النبوآت الثابتة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم . علمنا على أن المسرح قد تهيأ تماما لظهور الدجال الاكبر الذي سيقوم في الشعب اليهودي بإسم المسيح الموعود وفق تنبوآت النبي صلى الله عليه وسلم . فقد أخرج المسلمون من الجزء الاكبر من فلسطين . وقد اقيمت فيه دولة يهودية باسم إسرائيل . وفي هذه الدولة قد تجمع اليهود ولا يزالون يتجمعون من كل أنحاء العالم وقد جعلتها امريكا وبريطانيا وفرنسا قوة حربية عظيمة ولا يزال علماء اليهود وخبراؤهم الفنيون يعملون ليل نهار على ترقيتها معتمدين على ما ينالون من المساعدة المالية الواسعة من الصهيونيين في سائر

أنحاء العالم حتى أصبحت قوتها هذه خطرا مخيفاً لما حولها من الشعوب الإسلامية . وإن زعماء هذه الدولة ما عمدوا قطّ ولا حاولوا إخفاء أمنيتهم لاسترداد دولة أجدادهم وآبائهم . ولك أن تلاحظ في الرسم الآتي خريطة دولة اليهود في المستقبل كما يرسمها وينشرها اليهود علنا في كتبهم وجرائدهم منذ مدة ، ويظهر من هذا أنهم يريدون الاستيلاء على سورية كلها ولبنان كله والاردن كله والعراق كله تقريبا ، ومع كل هذا يريدون الاستيلاء على منطقة الاسكندرونة من تركيا وسينا والصعيد من مصر وشمال الحجاز ونجد من السعودية ، بما فيها المدينة المنورة وهذا إن دل على شيء فانما يدل على أنهم سوف يحاولون الاستيلاء على هذه المناطق مستغلين الاوضاع الملائمة التي يمكن أن تنشأ في حرب عالمية ثالثة قادمة ، وفي تلك الأيام يمكن أن يقوم فيهم باسم المسيح الموعود دجالهم الاكبر الذي ما اكتفى النبي صلى الله عليه وسلم بذكر ظهوره ، ولكن أخبر كذلك أن المسلمين في زمانه تحيط بهم المصائب والمحن حتى ليشعرون باليوم الواحد كأنه سنة ، ومن ثم كان صلى الله عليه وسلم يعوذ بالله من فتنته ويلقن المسلمين أن يعوذوا بالله من فتنته

ولقتال هذا المسيح الدجال لا يبعث الله «مثيلا للمسيح» وانما ينزل ذلك المسيح الحقيقي الذي ابى اليهود قبل الفي سنة أن يؤمنوا بمسيحيته ثم صلبوه وفرغوا من أمره بزعمهم الباطل . اما موضع نزوله فلا يكون في الهند ولا في افريقيا ولا في امريكا

وانما يكون في دمشق لكونها في تلك الايام على عين جبهة الحرب . وراجع من فضلك الرسم الآتي تجد فيه أن دمشق لا تبعد عن حدود اسرائيل أكثر من ٥٠ أو ٦٠ ميلا ، وان كنت مع ذلك مستذكرا في ذهنك موضوع مانقلنا في الصفحات الماضية من الأحاديث عن نزول عيسى عليه السلام فلا تجد أي صعوبة في إدراك أن المسيح الدجال سوف يدخل سوريا مع ٧٠ الف رجل من اليهود حتى يصل الى ظاهر مدينة دمشق . ففي مثل هذه المرحلة الحاسمة سينزل عيسى عليه السلام وقت صلاة الفجر على منارة بيضاء في شرقي دمشق ثم يخرج بالمسلمين بعد صلاة الفجر لمحاربته . وهناك ينهزم عدو الله ولا يستطيع الوقوف امام هجومه فيرجع القهقري الى اسرائيل عن طريق عقبة أفيق (الحديث رقم ٢١) فيطارده عيسى السلام حتى يدركه عند مطار اللد ويقتله (الاحاديث رقم ١٠و١٤ و١٥) وسيقتل اليهود بعد ذلك شر قتلة وتنقرض الملة اليهودية) (الأحاديث رقم ٩ و ١٥ و ٢١) كما أن المسيحية لا تبقى لها باقية بعد اعلان عيسى براءته منها وإظهاره الحقيقة (الاحاديث رقم ١ و ٢ و ٤ و ٦) وسوف تنضم الملل كلها الى ملة واحدة. ملة الإسلام (الحديثان رقم ٦ و ١٥)

ثم بقيت في وجه صاحبنا مشكلة أخرى هي أن عيسى إنما كان لينزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق بموجب الاخبار المذكورة في الاحاديث . فرفع هذه المشكلة بأنه بنى في مدينة « قاديان » المذكورة منارة سماها المنارة البيضاء . ومن عسى

أن تكون له الفرصة للتفكر والتثبت في ان المنارة التي ورد عنها الذكر في الأحاديث هي منارة تكون موجودة قبل أن ينزل المسيح وان المنارة القاديانية قد بناها حضرة « المسيح الموعود » هذا بنفسه بعد مجيئه .

ولعمر الحق ان الانسان إذا نظر في كل هذه التأويلات بفكر ثاقب ، فإنه لا يلبث أن يعرف أن ليس كل هذا الا دجل صريح وشعوذة سافرة وعمل بوهيمي .

وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين .



